طرائف وقصص

عروس البحر

للشاعر الهندى رابندرانات طاغور

كان شاباً فتياً ، فى مرآة قرة العين ، وابتهاج القلب ، وغبطة النفوس ...

وكان غرة قومه ، ووجه عشيرته ، يثنون له أعطافهم ويمهدون له أكنافهم ، ويؤثرونه بالحب والإيناس

وكان من حوله يستفزون نفسه الثائرة بأحاديث الزواج وما فيها للقلب من متعة ، وما فى الطبع إليها من طمأنينة وارتياح

قال واحد من رسل الملوك إليه : «أما أميرة بهليك.. فما أجملها ! إنها لكالباقة من أزاهير الربى فى الربيع ! »

ولكن الأمير الشاب أشاح بوجهه — وكأن لم يلق الحديث منه بشئ — وما أجاب

وقال آخر : « وتلك هى أميرة كندهار . . زهرة أنيقة ، وضاءة بهية ، كمثل وضاءة العقود النضيد ! »

ولكن الأمير الشاب ينساب فى الغابة لا يخرج منها إلا بعد حين ...

وقال وصيف من سراى الملك — أبيه — :« ..جميلة أميرة كامبهوج بجمال قوس قزح عند انبثاق أضواء الفجر وأنواره ... وعيناها ... وعيناها ناعستان حالمتان ، تلتمعان التماع قطر الندى الوضاء ! »

ولكن الأمير الشاب يستغرق فى كتابه صفحا فلا يرفع عنه عينيه ولا يفيق !

* * *

واختلى الملك الوالد بنجى [1] ابنه وعشيره يسأله عما انحرف بابنه عن الزواج وبغضه إليه !

فقال سمير الأمير : « أيها الملك الجليل ، لقد زهد الأمير فى الزواج ما سمع عن عرائس الأمواه ، ولقد أقسم فى سره لتكونن زوجه من عرائس البحر ، بنات الماء ... »

وأراد الملك أن يعلم من أمر هذه العرائس شيئا ، فاستدعى إليه أهل العلم وأرباب الحكمة .. ولكن أهل العلم لم يروا فى كتبهم عن العرائس المزعومات شيئاً ! إنما هاتيك العرائس : عرائس الخيال الموهومات.. وكذلك قال رواد البحر من الهنود التجار !

فدعا الملك الشيخ إليه سمير ابنه يسأله عمن قص على ابنه هذا الخيال الموهوم ، فأجاب : إنه رجل يضرب فى الآفاق مجنون ... وقد سمع منه الأمير ما سمع فى الغابة حين كان يصطاد !

فأرسل الملك أعوانه فى البحث عن هذا المتشرد المجنون ليحضروه إليه ... حتى وجدوه فجاءوا به إلى قصر الملك الفخم العظيم ! فسأله الملك عن مملكة عروس الماء أين تكون ؟

قال المجنون : إنها فيما يلى حدود الشمال من مملكتك أيها الملك العظيم ... وعند سفح جبل « شيتراهى » حيث تنبع بحيرة « كاميا كا » ...

فقال الملك : وهل يبصر المرء عرائس الماء هناك ؟

فأجاب الجائل المخبول : نعم ! فى إمكان المرء رؤيتهن ... ولكنه لا يكاد يعرفهن لما يحطن به أنفسهن من إبهام وغموض ... غير أنى أعرف العرائس الفاتنات بأصوات مزامرهن الرائعة ... أو بقبس من شعاع لهن وهاج !

(١) النجى الصاحب أو الصديق

فغضب الملك من هذا الهذيان وقال : « إنه لمجنون ! قد أصابه مس من حياة التشرد والتجوال فاطردوه »

غير أن الأمير كان قد أصغى إلى ذلك الهذيان الجميل ... وقد علق بقلبه منه ما سمع ، فليس إلى طرده من سبيل ...

* * *

وجاء الربيع يكاد سناحسنه يستلب العقول ... وانبثقت أزاهيره فى النسابة تملأها حسناً وعطراً ! فركب الأمير جواده وخرج ... فيسأله الأهل : إلى أين أيها الفتى النبيل ؟ إلى أين أيها الأمير الجميل ؟ ولكن الأمير ساكت لا يجيب

السيل يتدفق منحدراً من أعلى الجبل ثم ينصب فى البحيرة فيفيض ... وهناك ، هناك قرب الجبل فى المعبد المهجور كان الأمير يقيم !

ومر شهر ، والأمير فى معبده يرتقب ، وفى الشهر هذا اشتدت خضرة الزرع ، واكتست بوشاح من الزبرجد الزاهى الجميل !

وإن هذا الشهر الجديد يكاد ينصرم .. والأمير فى مكانه لا يريم !

وفى ليلة من ليالى هذا الشهر أصغى الأمير الشاب إلى صوت مزمار خافت يطرق أذنيه كالصدى النائى البعيد ...

وفى اتجاه السيل المنحدر إلى البحيرة الجميلة كان اتجاه الأمير ... حيث كان مصدر الصوت الشعرى الرخيم ؟

وهناك ، كانت تجلس بين أزهار « اللوتس » (٢) حورية من بنات البحر عرائس الماء المنشودات

إن شعاعاً عبقاً كان ينبثق من زهرة من زهور « السيرش » (٣) فى مفرقها الجميل

* * *

فترجل الأمير عن جواده ، ودنا إلى الحورية فى استحياء وطلب منها تلك الزهرة الجميلة العبقة .. فرفعت رأسها ترنو إليه ثم سحبت زهرتها من شعرها وقدمتها قائلة : « إنها لك »

ثم سألها الأمير : وأى ملكة أنت ؟

فبدت على وجهها علامات الدهش والانكار ثم قهقهت فى ضحكات متزنات كالأنغام .. كان لها رنين فى قلب الأمير الشاب .. لقد ظن الناس تلك الضحكات مزامير . لشد ما يخطئون ...

ثم ركب الأمير جواده ، وأردفها خلفه ومضى يحث السيرا

وهما على ظهر الحصان همس الأمير فى أذنها أن اخلعى عنك النقاب .. واذكرى اسمك الكامل

فأجابت : إن اسمى كاكارى ... وأما القناع فما كان قد انكشف كما أراد !

وهنا قال الأمير : وجهك ... أرنيه ... إننى فى حاجة إلى استجلائه أيتها الملكة الحسناء

ولكنها قهقهت فى ضحكات كالأولى كان لها فى قلبه اللتاع وقع ورنين

ثم وصلا إلى المعبد القديم المهجور ... فعلن الخبر وذاع ؛ وسمع الملك الشيخ بزواج ابنه الأمير فأرسل إليه الجند والخيل والفيلة والعربات ، فى معبده المهجور

* * *

— واليوم يا « كاكارى » ستذهبين إلى القصر

ولكنها لم تجبه ، ولكن فى عينيها كان الجواب. لقد كانتا دامعتين ، طافحتين بالدموع ، تستعبران ! لقد هاجتها الذكرى ... وأثارت ما فى نفسها من شجون

ثم قالت : « أنا لا أستطيع الذهاب ... أيها الأمير المحبوب ! »

ولكن ضوضاء القادمين وجلبتهم غلبت صوتها الخافض الضئيل ، وسارت إلى قصر الملك الفخيم

* * *

(٢) زهور هندية معروفة لم نجد لها فى اللغة ترجمة !

(٣) ليس فى العربية وصف كهذا ولكن أمانة الترجمة اقتضت نقله ، على ان فيه معنى يدركه بعض الذين تيسهم الجمال

فرأتها الملكة فقالت : وأى أميرة هذه تكون ؟

ورأتها إبنتها فقالت : يالله ! !

ورأتها من وصائف القصر واحدة ، فقالت :

انظرن إلى رداء الأميرة الخلق . . . لابأس عليها فإنها ممن لايحتجن إلى الثياب إذ أنها من عرائس الماء !

ولكن الأمير أسكتهن فى حنق وغيظ شديد :

« إن الأميرة قد جاءت متخفية فى هذه الأطمار ... »

ولكن أصوات الهزء إزدادت فلم تنقطع ، أوانقطعت قليل حين ، وكان الأمير إذا سمع ذلك يهيج ويغضب لأنهم لايشاركونه شعوره نحو هذه الأميرة إبنة الماء ؟ !

ومضت أيام : والأمير على ماوصفنا ، وأهله على ماذكرنا وزوجه على حالها لم تتغير ، ولم تلق عنها نقابها البنفسجى المكروه..

ولكن الأمير يؤمل وينتظر ، وهو الآن يكتفى بالأمل والانتظار . . .

* * *

وإنه لجالس مع « عروس البحر » يسامرها إذ سألها من مدى لبس هذا القناع البنفسجى ؟ فقالت . « سيكون لذاك أيها الأمير مدى معلوم : ولكن تريث الآن»

فأجابها : إذن سيكون ذلك فى قمر الشهر المقبل أيتها الأميرة الحسناء ! !

إن قمراء [٤] البدر قد اكتملت وضوحاً وقوة ، فهى الآن تملأ البيد ، وتغسل الحقول . . . وتسيل على الأرض فتغطى كل مافيها . . . حتى تلك الغرفة ، وذلك السرير !!

ولكن أين كاكارى . . . أين الأميرة إبنة « البحر الحسناء » ؟ !

... لقد غابت ، إذ رفعت عنها القناع ! !

ف . سه

(٤) قمراء البدر نوره

ظهرت الطبعة الجديدة

من كتاب

فى أصول الأدب

للاستاذ أحمد حسن الزيات

من موضوعاته الأدب وحظ العرب من تاريخه ، العوامل المؤثرة فى الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفهم فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة الدينية فى العلم والعالم الرواية المسرحية واللحمة وتاريخهما وقواعدها وأقسامها وكل ما يتصل بها ، وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب

ثمنه خمسة وعشرون قرشاً عدا أجرة البريد

وحى الرسالة

فى ثلاثة أجزاء

للأستاذ أحمد حسن الزيات

طبع طبعا أنيقا على ورق صقيل وقد بلغت عدد صفحات كل مجلد خمسمائة صفحة ونيفاً وهو يطلب من إدارة الرسالة ومن جميع المكتبات وثمن كل مجلد أربعون قرشاً عدا أجرة البريد